Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الثانية دون اعتبار لما يعنيه هذا الاستعمال الخاص لهذا الشاعر بالذات . ويمكن القول بأن هذه الأحكام لم تصدر عن نقاد لهم وزنهم فى توجيه الشعر وتقويمه ، ولكننا نزعم أن هذه النزعة كانت مسيطرة بشكل لافت للنظر ، ولا نريد أن نقتحم دربا لا نهاية له حول الزعم بقصور طاقة التخيل عند الشعوب السامية ، ودور الصحراء فى تكوين العقلية العربية التى تؤثر الوضوح والتحدد ، ويصعب عليها الاتحاذ بعناصر الطبيعة ومن ثم القدرة على التشخيص ، وبصرف النظر عن القوميات أو السلالات العرقية للنقاد ، فإننا سنجد الجنوح إلى التجريد ، والاستمساك بالواقع المباشر ماثلا فى الفكر النقدى ، لم ينج غير عبد القاهر ، لمنهجه التحليلى الشامل الذى يستقبل كل معطيات الصياغة الفنية ويهتم بها ويستقصى كافة احتمالاتها مستخلصا أقوى ما فيها تساندا مع البناء اللغوى ، وأقل منه القاضى الجرجانى لاعتماد نقده على الذوق . وباستطاعتنا أن نقرأ هذا التعقيب للآمدى (٣٧١ هـ) ينقد فيه بيتا لأبى تمام ، وقد يحق لنا أن نضع فى الاعتبار ما يراه البعض من أن الآمدى متحامل على أبى تمام متأول لمحاسن شعره انحيازا للبحترى وطريقته ؛ ولكن هذا – على افتراض صحته – لن يبطل ما يدل عليه كلامه فى التأويل والتفضيل . قال أبو تمام :

قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبا

فكيف « يحلل » الآمدى هذا البيت ؟

قوله : « قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ » معنى ليس بالجيد ، لأنه إنما أراد : قد عهدنا الرسوم وهى معدن للصبا أو مألف أو موطن ، فقال : عكاظ ، أى سوق للصبا يجلب إليها . ولو قال : « سوق » لكان أجود من قوله « عكاظ » وإنما ذهب إلى أن عكاظ من أعظم الأسواق التى تجتمع إليها العرب . وقد كان يكفيه أن يقول : سوق فيأتى باللفظة المستعملة المعتادة . وإن السوق قد تكون عظيمة آهلة ، وعكاظ أيضا سوق . فما وجه التخصيص فى موضع العموم ، والعموم أجود وأليق »(٨) .

ولو لم يكن الآمدى من كبار نقاد الشعر ، تصدى للموازنة بين مدرستين وليس شاعرين فحسب ، فى أزهى عصور النقد العربى لما كان فى قوله ما يستحق المناقشة ، فهذا الإصرار العجيب الذى تكرر فى موازنته أكثر من مرات ملحًّا على استعمال اللفظة المعتادة يدل على

(٨) الموازنة جـ ١ ص ٤٨١ .